الرمز في شعر عبد الرزاق الربيعي

الباحثة. كوثر حميد صيهود محمد أ.د. رائدة مهدي العامري

جامعة بابل_ كلية التربية الاساسية_ قسم اللغة العربية_ فرع الادب

KWthmyd32@gmail.com

raydaalmry@gmail.com

الملخص:

تناولت هذه الدراسة الطبيعة كـ(رمز)، يعتبر الرمز من ابرز الظواهر الفنية التي تلفت النظر في التجربة الشعرية، باعتباره اداة التعبير الغير مباشر، والشاعر يلجا الى توظيف الرموز في شعره لان العلاقة بين الشعر والرموز قديمة تدل على بصيرة كافية بطبيعة الشعر والتعبير الشعري، وهو من الموضوعات المثيرة للجدل في الساحة الادبية، وما الرمز الا وجها مقنعا من وجوه التعبير بالصورة.

الحقيقة ان جمال الشعر لا يبرز الا من خلال الرموز التي يوظفها الشعراء في نصوصهم. لقد تناولت في هذه الدراسة مفهوم الرمز لغة واصطلاحا، وكيف وظفه الشعراء في نصوصهم، ومن بينهم الشاعر عبد الرزاق الربيعي الذي برز في الساحة النقدية وكانت اعماله الشعرية مفعمة برموز الطبيعة، فالشاعر يلجا الى الرموز كغطاء يستتر خلفه ويخلق من رموز الطبيعة عالما مفعما بالحياة، مكونا منها عملا ادبيا ذات تراكيب لغوية متجانسة، فالشاعر لا يلجا الى الرموز من فراغ وانما يلجا اليها خوفا من امور عديدة (نفسية، اجتماعية، سياسية، دينية) لا يستطيع البوح بها علناً، لذا لجا الى رموز الطبيعة المتحركة والصامتة التي تحمل جملا من الانساق الثقافية المضمرة، لذا كانت الطبيعة من اهم الادوات التي وظفها الشاعر للتعبير عن تلك القضايا بوصفها (رمزا) ومن تلك القصائد قصيدة (ذئب) اضافة الى ذلك تناولنا الخاتمة والمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: (الرمز، الشعر العربي، الطبيعة الصامتة والمتحركة)

Symbolism in the Poetry of Abdul Razzaq Al-Rubaie

Kawthar Hameed Sihoud Mohammed Dr. Raida Mahdi Al-Amri

University of Babylon - College of Basic Education - Department of Arabic Language - Literature Branch

KWthmyd32@gmail.com

raydaalmry@gmail.com

Abstract:

This study examines nature as a symbol in the poetry of Abdul Razzaq Al-Rubaie. Symbolism is one of the prominent artistic phenomena in poetic experience, serving as an indirect expressive tool. Poets employ symbols in their poetry due to the longstanding relationship between poetry and symbolism, indicative of a sufficient understanding of the nature of poetry and poetic expression. The use of symbols is a contentious topic in literary circles, as symbolism is one of the convincing forms of expression. The beauty of poetry is only enhanced through the symbols employed by poets in their texts.

This study delves into the concept of symbolism linguistically and technically, exploring how poets utilize it in their texts, including Abdul Razzaq Al-Rubaie, whose poetic works are rich in natural symbols. The poet utilizes symbols as a cover behind which he creates a world brimming with life, forming literary works with coherent linguistic structures. The poet resorts to symbols not out of emptiness but out of fear of various issues (psychological, social, political, religious) that cannot be openly expressed. Thus, he turns to the symbols of both moving and silent nature, which carry a multitude of implicit cultural patterns. Hence, nature becomes one of the most important tools the poet employs to express these issues symbolically, as evidenced in poems such as “Wolf.” Additionally, this study includes a conclusion, as well as sources and references.

Keywords: (Symbolism, Arabic Poetry, Silent and Moving Nature)

المـقدمــة:

يعد الرمز من المصطلحات القديمة الذي عني بالعناية والاهتمام من قبل النقاد، الذي كان يعني الكلام الخفي والاشارة المبهمة. ثم اخذ يتطور بتطور الحياة واصبح اكثر استعمالا بالشعر العربي الحديث. بل صار اداة لا غنى عنها بالنصوص الشعرية، حتى اصبح يواكب ذلك التطور والارتقاء الثقافي

والفكري. والشعراء وجدوا في الرموز متنفسا لبث همومهم ومشاعرهم بعيدا عن اي خطر يواجههم، اذ اتخذ الشعراء منه قناعا جسدوا من خلاله المهم وحزنهم وفرحهم ومكنوناتهم الداخلية وهذه الرموز تختلف من شاعر الى اخر. نجد الربيعي قد اتخذ من الطبيعة (رمزا) لبث خلجاته النفسية وما يعانيه من الم الغربة والفقد والموت، الذي ترك بلده مضطرا لأسباب عديدة، لذا لم يجد سوى الطبيعة لتكون رمزا للتعبير عن ذاته الحزينة. اذ يعتبر الرمز من اهم التقنيات الفنية التي يلجا اليها الشعراء في بناء نصوصهم الشعرية. والربيعي وظف رموز مختلفة من مظاهر الطبيعة كـ(الحيوانات والطيور والجمادات) لذا اتصف شعره بالغموض والابهام والرمزية، ووجد من خلالها مكانة واسعة للتعبير والتأويل، قاصدا من وراء تلك الرموز معاني مضمرة مصورا من خلاله صور لبث معاناته النفسية والكشف عن اهم القضايا السياسية والدينية والاجتماعية والنفسية، ولا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من مظاهر الطبيعة. اذ يعتبر الربيعي من شعراء العصر الحديث الذي ترك بصمة واضحة في عالم الشعر العربي. وكانت اعماله الشعرية محط انظار للكثير من النقاد والباحثين.

الرمز في شعر عبد الرزاق الربيعي

يبرز جمال الشعر من خلال الرموز التي يوظفها الشاعر في نصوصه الشعرية، فمن رياض الطبيعة ومن ظلالها يكون ارق العبارات والالفاظ. يعرف الرمز باللغة بانه ((تصويب خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير ابانه بصوت، انما هو اشارة بالشفتين. وقيل الرمز اشارة وايماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم والرمز في اللغة كل ما اشارت اليه مما يبان بالفظ باي شيء اشرت اليه بيد او بعين))[١]. وبذلك لا يقتصر الرمز على جزء معين وانما يشمل كل اعضاء الحواس (الفم، اليد، اللسان، العين، الحاجبين، الشفتين).

وفي المصطلحات الحديثة يعرف الرمز بانه ((كلمة او عبارة او تعبير اخر يمتلك مركبا من المعاني المترابطة، وبذلك ينظر اليه باعتباره يمتلك قيما تختلف عن قيم أي شيء يرمز اليه كائنا ما كان))[٢].

اما كاسيرر يرى ان الانسان يتميز عن كل نوع حيواني بما يمكن تسميته بالنسق الرمزي، وان الانسان لا يحيى في عالم مادي خاص، وانما يحيى في عالم رمزي، فاللغة والاسطورة والفن والدين هي عناصر من هذا العالم، وانها جميعا خيوط مختلفة تخلق نسيج الرمزية، اذ يرى ضرورة تعريف الانسان بوصفه حيوانا رمزيا(٣). والرمز من المصطلحات الحديثة الذي ظهر في العصر الحديث بصورة واضحة، فكان يعني سابقا الايجاز والتلميح والاشارة. ويعتبر ارسطو اقدم من تناول الرموز فيقول: ((الكلمات المنطوقة رموز لحالات النفس، والكلمات المكتوبة رموز للكلمات المنطوقة وهو انتاج الخيال الشعري))(٤).

وان الابداعات الرمزية دائما لا ارادية فالرموز شانها شان أي نوع من الدلائل، هي دائما نتيجة تطور استحدث علاقة لا ارادية بين الاشياء، لا تخترع ولا تأتي بغتا(٥). ويعتمد على التشابه النفسي بين الاشياء وهو ثمرة يقتطفها الشاعر من خلال ادراكه الحسي للعلاقات العميقة والخفية بين الظواهر المادية وما يختبأ ورائها من اسرار ثم يوظف الطاقة الايحائية المتولدة من التقاء الاشياء للكشف عن تلك الاسرار(٦).

ويقسم بيفان الرموز الى نوعين:

الرمز الاصلاحي: يعني به نوعا من الاشارات المتواضع عليها، كالألفاظ باعتبارها رموز لدلالتها

الرمز الانشائي: ويقصد به نوعا من الرموز لم يسبق التواضع عليه(٧).

ولذلك فالرمز ((هو شيء حدسي معتبر كإشارة الى شيء معنوي لا يقع تحت الحواس، وهذا الاعتبار قائم على وجوه مشابهه بين الشيئين احست بها مخيلة الرامز))(٨).

وبذلك يتكون الرمز من الواقع الاجتماعي والسياسي والظروف النفسية والبيئية التي عاشها الاديب و((في هذا يحتاج الى قوة ابتكارية فذة، يستطيع ان يرتفع بالواقعية الفردية المعاصرة الى مستوى الواقعية الانسانية الصامتة ذات الطابع الاسطوري، كما انه يستطيع ان يرتفع بالكلمة العادية المألوفة الى مستوى الكلمة الرامزة))(٩). والمنابع الاساسية للرموز تتكون في حياة الشاعر من الظروف التي عاشها الشاعر متخذا من الاحداث والمواقف رموزا له، يكونها من مخزونه الثقافي وقدرته في خلق صور شعرية تتناسب مع نصوصه الشعرية، لذا لجا الربيعي الى الطبيعة باعتبارها من اهم المصادر

الشعرية فتفاعل معها وكون علاقة حميمية مع مظاهرها (الصامتة والمتحركة) لتكون رموزا عبر من خلالها عن عواطفه ومشاعرة، متخذا من الاشجار والاقمار والنجوم... ومن الحيوانات والطيور رموزا لما يعتلي في قلبه. اذ تعتبر الطيور جزء من ثقافة الانسان، فهي جزء من سلوكه الاجتماعي والعادات والتقاليد والممارسات وقد استخدم الانسان الطيور في مجالات مختلفة. وظهرت الطيور في الاساطير والديانات المختلفة القديمة وكان لها حضور، حيث كانت ترمز الى العديد من الامور حسب اختلاف(الثقافة، والديانة، والعصر) مثل الحمامة ترمز الى (السلام والمحبة) وبعضها يرمز الى (الموت والشؤم) مثل الغراب، وغيرها ... ولذلك اصبح توظيفها امرا ضروريا في القصيدة العربية، لما تحمله من معاني ودلالات. اذ يقول في قصيدة (المشهد الاخير):

في راحة((الامير))
يبسط الطائر جناحيه
على الرمال
و(كادر)السماء
جاهز
(لقطة رأسية)
من اعلى تسابيح العصافير
الى النجم
اوثق يديه بالزهور
والطيور
الا طيور (هيتشكوك)
حيث ماء الورد
والبخور والوداع

والرجاء والاقمار

دارت العدسات

دارت السنون

دارت الطفولة

لحظة واحدة

انت اليوم

نجم المشهد الاخير... [١٠]

النص محمل بالمشاهد التصويرية السنيمائية من (لقطة، كوادر ، نجم ..) وكانه يريد ان يخرج مسرحية بطلها من عالم اخر، ليس من عالم السينما فـ(الامير) يقصد به الامام علي[٤] رمز القوة والصلابة وسيفه المشطور. الشاعر يلجا الى الرمز الشعري ((لانه مرتبط كل الارتباط بالتجربة الشعورية التي يعانيها الشاعر، والتي تمنح الاشياء مغزى خاصا))[١١] اذ يتحدث بحزن عميق وقلب مكسور مفجوع، عن حبيبه ورفيق دربه اخاه (محمد) الذي رحل. حيث استطاع الشاعر في هذا النص ان يبرع في التصوير والاخراج، حتى فاق صناع السينما عبر لغته المتناغمة ذات المشاهد الحزينة (يبسط الطائر جناحيه على الرمال) كناية عن الموت، فالطائر رمز لـ(الاخ) اذ رسم صورة حية حقيقية، حيث انه استخدم التشبيهات والمجاز في النص لإضفاء الروعة عليه مثل (كوادر السماء جاهزة، وثقوا يديه بالزهور ...). فهي من القصائد الحزينة، التي تناول فيها فكرة الرحيل والفناء بشكل موجع فان ((الفرق كبير بين ان تعيش المأساة وان تدركها))[١٢]. و(من اعلى تسابيح العصافير) رمز لمشاعر الحزن والاسى التي تستبد بالشاعر من خلال وصفه بالطائر، فأنه قد عانى وقاسى كثيرا في حياته، والموت اصبح رفيقة. وهو يسلط الضوء على اللحظة الاخيرة في حياة اخيه (محمد) بل في حياة الانسان، حيث يوضع على الرمال وتنهال عليه (ماء الورد، بخور، الوداع، الرجاء ...) والطيور التي تحلق فوقه طيور الجنة وليست طيور الرعب كما يقول:(والطيور الا طيور هيتشكوك*) مشهد صوره

بجدارة مستخدما اللغة والفاظ الطبيعة (الصامتة والمتحركة) (السماء، الماء، زهور ،اقمار، طيور ..) مازجا بينهما بطريقة متقنة وراقية، جمعت بين البساطة والجمال. راسما تلك الطقوس المتعارف عليها، مما جعل النص يحمل معان عميقة، ويترك اثرا في القارئ.

ثم يصور الحياة بـ(لحظة) بشريط الزمن الذي يعد العنصر الاساسي في سرد الاحداث(العدسات دارت، دارت السنون و دارت الطفولة ...) وهي احداث تمر على الانسان كلمح البصر، فالوقت والايام دارت ومضت دون ان نشعر بها، فالنص يغلب عليه عاطفة الفقد والالم فـ(انت اليوم نجم المشهد الاخير).

يعمد الشاعر في تصوير الحبيبة، من خلال ابعاد ثقافية فلسفية، ذات خيال واسع في رسم صورة فنية ملونة بالوان (الطبيعة). فقد يبني الشاعر قصيدته على رمز واحد كلي يستقطب كل الابعاد النفسية في رؤيته الشعرية[١٣]. اتخذ من الحمامة رمز للحبيبة المفتقدة فيقول في طوق الحمامة:

لا تخافي علي
من نفخات الاعاصير
وفيضانات الاودية
لا تخافي علي
من السحاب الثقال
لا تخافي علي من الصواعق[١٤].

يزخر النص بالألفاظ الطبيعة المعبرة عن الجانب الوجداني والنفسي، الذي اصبح ثيمه اساسية في شعرهم، وكانت المرأة محور مهم في نصوصه الشعرية. حتى شكلت نسقا ثقافيا في نصوصه، فألفاظ التي برزت في النص تكشف عن حجم المعاناة والالم فـ(الاعاصير، فيضانات، امطار ...) كل هذه الظواهر الكونية لا تؤثر فيه اذ يخاطبها قائلا: (لا تخافي علي من نفحات الاعاصير، فيضانات الاودية، الحروب، حجارة الطير، الصواعق، من السحاب الثقال) رموز اشار بها الى الظروف والمعاناة التي يعانيها فهو لا يخاف على نفسه من تلك الكوارث، فهي لا تشكل لديه اي عائق فقلبه

مملوء بالكوارث النفسية (للحبيبة) التي فارقته، فتلاشت معها الاحلام والامنيات فـ((خطاب المرأة جنس خاص من الخطاب المتكأ على الانفعالات، التي تلقي بثقلها على العواطف، فيبنى على فرضية خلافية، يعرض الشاعر دعواه عبر سلسلة من الاقوال المترابطة ترابطا منطقيا))[١٥] . فتكرار جملة (لا تخافي علي)دلالة على المستقبل فالتكرار وسيلة بلاغية مهمة((فيقولون ان الشيء ان تكرر تقرر))[١٦]. ثم يقول:

فقلبي مترع بالعواصف

منذ ان طوقته بـ(طوق الحمامة).

منذ ان ....

اليس حبك

اقوى اعصار قوض مدني الامنة!!؟ [١٧]

قد وردت لفظة (طوق الحمامة) قديما عندما ارسل نوح (ع) الحمامة وجاءت بالبشارة، ففرح هم ومن معه، ثم طوقها بطوق ابيض في عنقها ودعا لها بالبركة [١٨].

فالحمامة رمز للحبيبة، راسما بأنامله السحرية (اسطورة المرأة) المتربعة بقوة على قلب الشاعر، حتى كان حبها(اقوى اعصار قوض مدني الامنة)هكذا عبر الربيعي عن خلجاته النفسية، فالأحزان تراكمت عليه حتى سلبت منه الامن والراحة والامان، فكان الشعر المنفذ الذي عبر به الربيعي عن ذلك، فـ((الشعر انه بوح وجداني، وتدفق للمعاني ولأخليه وسديم من العواطف، وجيشان قلبي، وكم نغمي ينساب مع العمل الشعري))[١٩]. الشاعر مهما اصر وحاول الخروج من العالم المحيط به، يجد نفسه داخلا في اعماقه. وانتاجاته الشعرية اكتظت بالقضايا الاجتماعية المعبرة عن (الانا والاخر) فالشعر هو تعبير عن تجربة انسانية فهو ((نظام من الرموز والدلالات))[٢٠]. ونصوصه الشعرية عرفت بالغموض الذي يحمل في ثناياه معاني مضمرة فـ((المضمر هو نقيض ومضاد للعلني. فان لم يكن هناك نسق مضمر من تحت العلني فحين اذ لا يدخل النص في مجال النقد الثقافي))[٢١].

اما في قصيدة(طائر السعد) يجري الشاعر مقارنة اذ يقول :

وقف طائر السعد

على حائط مالك الحزين

ليغسل قدميه

بدموعه الجارية

وبعد ان تبادلا

رسائل الولادة والحداد

البياض والسواد

هدم الحاط

لكي لا يجد

طائر السعد

مكانا فيعود ... (٢٢)

ف(طائر السعد) رمزا للفرح والسرور وفي نفس الوقت يقابله (مالك الحزين) الذي يرمز الى الحزن. الدال على ذات الشاعر الحزينة الذي لم يعرف الفرح. فهو يجري مقارنة بين (الولادة، الحداد، البياض، السواد) فمعاناة الشاعر واضحة منذ زمن بعيد، فكانت الاحزان تتوالى عليه حتى لم تترك له مجال للفرح. الشاعر تحمل وصبر على الم (البعد، الالم، الفراق، الفقد و الغربة ...) حتى اصبح منهمكا في بحر الاحزان حتى انه (هدم الحائط، لكي لا يجد، طائر السعد مكانا، فيعود) فالصور الشعرية مكللة بالحزن والوجع نابعة عن معاناة حقيقية. استطاع الربيعي في توظيف الطبيعة المتحركة ونجح في جعل طائر السعد رمزا شخصيا يفجر من خلاله انينه.

تبقى المرأة تشكل الهاجس الاكبر في الحياة. وعبد الرزاق كغيره من الشعراء الذين تزخر نصوصه بالألفاظ الجميلة المعبرة عنها اذ يقول في قصيدة (بجعة):

على كرسيك

حطت بجعه

شعرها ينبوع ناعم وغزير

وردة بيضاء

مسترخية على ظهر محيط

ريش ومطر

فجلست على كرسيك

البحيرة [٢٣].

وظف الشاعر احد الالفاظ الطبيعة الحية (البجعة) التي عرفت بجمالها ورقتها في كل اوصافها، متخذا منها رمزا لوصف محبوبته التي رحلت واصبح مكانها فارغا. فيمكن للرمز ان يقدم للقصيدة عونا اساسيا للتعبير عن موضوعها[٢٤]. متخذا من المحيط والبحيرة مكانا لأحداث جمعته بها، سواء كانت هذه الاماكن خيالية او حقيقية فهو يفتقدها في كلتا الحالتين.

محاولا ان يعبر عن مشاعرة المضمرة من خلال الفاظ الطبيعة الصامتة (وردة، بحيرة، مطر،...) ومن الطبيعة الحية (البجعة) تحمل معاني مضمرة تدل على اشتياق الشاعر. فرسم بمخيلته الشعرية عالماً فلكلورياً واسع بقلم انسان فاقد وفنان مبدع وهو يصف محبوبته، بـ(البجعة) ذات الجمال الساحر، فالشاعر المبدع هو الذي يؤثر في المتلقي، بل يجعله يحس ويعيش ما يكتبه. فـ((الشاعر صانع قصائد، ومضمون قصائده هو حصيلة نظرته في الحياة))[٢٥].

ثم ينتقل الشاعر من الطيور الجميلة الدالة على المحبة والسلام، الى طيور من نوع اخر غالبا ما تشير الى التشاؤم اذ يقول في قصيدة (غراب ما):

ليلة عرسي

ظل غراب ما

داهم حناء دمي

وبريش جناحيه

محا غابة سري

ومضى يجري

قلت: توقف

((لا املك الا نفسي))

فتناثرت الظلمة

من حولي

حط على روحي... [٢٦].

العنوان رمز (للموت، الفراق ..) لم يذكره الشاعر بشكل مباشر وانما عمد الى استحضار الفاظ الطبيعة المتحركة للتعبير عن المعنى المضمر بلفظة (غراب) ذلك الطائر((ذو اللون الاسود القاتم، حتى العيون والمنقار، وكان صوته القوي نذير شؤم))[٢٧]. فقد حاول الشاعر ان يفصح عن قساوة الحياة وعن الم معاناته النفسية المتراكمة، فكان الغراب هو خير اداة ليفصح بها عن خلجاته النفسية المكبوتة. مستحضرا قصة النبي موسى(ع) للكشف عن معاناته في سياق وجداني. المشهد الذي تركة الغراب في قصة اولاد ادم(ع) عندما قتل احدهم الاخر، مشهد مرعب، دل على عجز الانسان في كل شيء ((حتى رأى غراب ينبش في الارض يحفر بمنقاره ويبحث برجلية في الارض ليريه كيف يوارى سواء اخيه بعد ان قتله وهو نائم))[٢٨] .ومن هنا جاء الغراب مصدر (للموت والشؤم والفراق)، اثر كبير في نفس الشاعر والنص يحمل عبارات الاستمرار اذ يقول : (ظل غراب ما ، يداهم حناء، تناثرت الظلمة، حط على روحي) اي ان ذلك الهاجس صفة متلازمة للشاعر لا تنتهي(وبريش جناحيه محا ، غابة سري) مشبهاً الحياة بالغابة تعبير مجازي يدل على اوجاع نفسية، حتى اصبح العالم موحش القوي يأكل الضعيف.

ومن الحيوانات التي ورد ذكرها كثيرا في نصوصه الشعرية (الذئب) الذي حمل دلالات ومعاني مختلفة فيقول في قصيدة (ذئب):

تحدوه في نصوصهم

وحينما حدق في وجوههم

ارتعشوا

ومضوا يسردون بطولاتهم خلال نزاله

وعندما اختطف اقرب الناس اليهم

ماتوا من الخوف منه

وحدهم الموتى

حينما يسمعون هذه الكلمات

يقهقهون ... [٢٩] .

في هذا النص يتحدث عن احد الظواهر الطبيعية المفروضة على المخلوقات (الموت) الذي رمز له بـ(الذئب) ذلك الشبح الذي يطارد الانسان والحيوان فأن ((الله سبحانه وتعالى اعطى للإنسان اسرار كونه ما شاء، ولكنه احتفظ لنفسه بثلاثة اشياء: الحياة، وعوامل استمرار الحياة، والموت))[٣٠]. لان الموت من المظاهر الطبيعية التي اوجدها الله منذ القدم. فالرمز الذي يتبلور في كلمة واحدة يعتبر من اكثر الانماط استخداما وعلى الرغم من بساطة هذا النمط الا انه يدل على معنى ابعد من دلالته الظاهرية[٣١]. فلا يوجد شيء اسمه الخلود بل الموت هو مصير الانسان في نهاية المطاف، والشاعر يتحدث في هذا النص مستغربا بقولهِ: (تحدوه في نصوصهم، وحينما حدق في وجوههم، ارتعشوا..) هذا هو حال الانسان وعلى مختلف العصور يتحدثون عن الموت وكأنه بعيد، او انه شيء سهل، هتافات يرددونها. ولكن حقيقة الامر شيء مختلف فهناك انساق دينية مضمرة حاول الشاعر اظهارها (عندما اختطف اقرب الناس اليهم، ماتوا من الخوف)اي عندما يقترب منهم يرتجفون ويخافون ويتمنون لو ان الله يمهلهم. أي انهم لا يشعرون بها الا اذا عندما يموت شخص قريب، عند ذلك يعرف الانسان

ان الموت كـ(الذئب) يفترس ما يجده امامه مهما طال به الزمن، وهو تشبيه جميل من الشاعر، يريد بذلك ان يصل الى حقيقة الموت الذي يغفل عنه الانسان، ويستمر في (الشرور والطغيان ويجمع ويكنز ...) فـ(مضوا يسردون بطولاتهم...) وكأنهم سوف يخلدون. كشف من خلال تلك الجمل الثقافية عن عظمة الموت وقساوته، ربما لأنه عرفة حق المعرفة، فطالما كان الموت رفيقه الذي سلب منه الاهل والاحبة حتى اصبح جسد بلا روح. حاول من خلال هذه القصيدة ان يذكر الانسان وان يتعظوا ممن سبقوهم وان يفكروا في الموت الذي سوف يأتيهم ويعملون لأخرتهم قبل فوات الاوان، فالموت لا يوجع الموتى بل يوجع الاحياء هذا ما قاله محمود درويش.

سجل الربيعي عبر ذائقته الفنية الادبية، سطور تلألأت كأنها لؤلؤ مكنون. في وقت ضاع فيه الوفاء. اذ ان الطبيعة المتحركة والصامتة تزخر بالرموز المحملة بالوفاء والحب. وهي المحرك الاساسي للعواطف والمشاعر، ومن الحيوانات التي كان لها حضور في نصوص الشاعر(الكلاب). ((فلقد شاطرت العربي حياته الصعبة، وقاست معه شظف العيش، وكانت مثله ما كان يعانيه في حله وترحاله ، فألفت كل ذلك)) [٣٢]. اذ يقول في قصيدة انتظار:

الزهور في اقمطتها تذبل
بينما الكلاب
على سواحل الوفاء
تنتظر
الارامل يخلعن ثياب الحداد
ام الكلاب
فهي على سواحل الوفاء
تنتظر
الرجال يعودون
وتظل الكلاب
على سواحل الوفاء
تنتظر ... [٣٣].

يحمل النص معاني ودلالات مضمرة لما فيه من قيم وعبر. فحضور(الكلب) في هذا النص ليس اعتباطيا، بل لأنه رمز للوفاء والاخلاص والصبر في عالم قل فيه الوفاء. فالصور التي رسمها الشاعر من بداية النص الى نهايته رموز، لجا اليها دون الافصاح عن الدلالة المقصودة وبهذه الطريقة يسمح للمتلقي بلذة الكشف والتذوق[٣٤] الزمن مستمر عبر حركة سردية شعرية (الزهور في اقمطتها تذبل ، الارامل يخلعن ثياب الحداد ...) كل شيء مستمر ولا يتوقف الا الكلاب اذ رسمت بوفائها وحبها اجمل صور(للوفاء) لشدة وفائها لصاحبها وعدم الغدر به مطلقا. على الرغم من ان البعض استخدم هذا اللفظ للإساءة. متخذاً من قصة (الكلب ها تشيكو) مفتاح لانساق ثقافية اذ((يوجد نسقين يحدثا معا وفي ان واحد في نص واحد او في ما هو في حكم النص الواحد، يكون احدهما مضمر والاخر علنيا، ويكون المضمر نقيضا وناسخاً للمعلن، ويكون النص ذا قبول جماهيري، يحظى بمقروئية عريضة، وضاربا في الذهن الاجتماعي والثقافي))[٣٥].

طرح من خلالها قضية اجتماعية مهمة تمس جوهر الانسان ذاته. فالحياة تستمر ولا تتوقف. بينما ظل (الكلب ها تشيكو) ينتظر صاحبه في المحطة حتى مات، نصبوا له تمثال وهي قصة حقيقة حدثت في اليابان وهذا الكلب يعود للبروفيسور(سابور وأوانيو) الشاعر يتحدث هنا عن معنى الوفاء المتمثلة بالكلب، (النساء يخلعن ثوب الحداد، الرجال يعودون، ...) بينما ظل الكلب ينتظر وينتظر ...

عمد الى تكرار لفظة (الكلاب، تنتظر) تأكيدا على ذلك الوفاء الذي لا ينتهي. فيتحدث الشاعر هنا بحزن عميق، مستاء من عالم قل فيه الوفاء والامان...

اما في قصيدة الصمت في الشوارع يعبر عن الموت من زاوية مختلفة فيقول:

المساجد بلا تسابيح

الكنائس بلا صلبان

القيامة بلا جمهور

الالفاظ بلا معنى

النمل في الذكريات

الطائرات في التراب

العناكب في اقفال المحلات

الصمت..

الصمت في الشوارع

((تعالوا انظرو..

الصمت في الشوارع)) [٣٦].

هذه القصيدة عبارة عن رموز اذ انها كتبت ايام جائحة كورونا تلك الفترة المظلمة التي حلت على العالم. وفي هذا النص يصور الربيعي عبر الفاظه البسيطة الواقع الذي ساد العالم. من هدوء وصمت، حتى اصبحت المدن، مدن اشباح، وهو يرى الاف الجثث.

تعطل كل شيء واصبح خاليا من مظاهر الحياة، الصمت في (المساجد، الكنائس، القيامة، ...) هذا الفايروس المرعب الذي اصاب الناس بالذعر. اذ كان له اثر كبير في ((اغلاق المساجد في كثير من البلدان الاسلامية واغلاق المحلات التجارية وتعطيل حركة النقل، بل منع الناس من الخروج لأعمالهم عموما))[٣٧].

ونراه يعمد الى تكرار كلمة (الصمت) لأنه يعجز عن وصف الحال وبذلك تكون كلمة (صمت) اكثر تأثيرا فهو رمز للحزن والوحدة والعزلة، العالم اصبح في صمت وسكون ولم يبقى سوى صوت الموت والحزن.

تلعب الطبيعة دورا بارزا في النص لما تحمله من طاقة كامنة، اذ ان الذكريات اصبحت ميته ايضا، بحيث ان النمل يأكلها مثل ما يأكل الجثث، ثم يستحضر من تلك الطبيعة ايضا (العناكب) فيقول: (العناكب في اقفال المحلات) كناية عن حجم الخراب والرعب الذي ساد المجتمع في تلك الفترة فـ(العنكبوت) رسم بخيوطه لوحة فنية على اقفال المحلات، اذ اصبح العنكبوت يتنزه ويتجول اين ما شاء لان الصمت ساد الشوارع في العالم.

ويعتبر (النمل والعنكبوت) من الحشرات التي ورد ذكرها في القران الكريم. ((تعالوا انظروا الصمت في الشوارع)) هذا السطر احاله الى بابلو نيرودا*[٣٨] بيته الشهير (تعالوا انظروا الدم في الشوارع) متحدثا عن حياة شعبه في تلك الفترة المظلمة، الربيعي شبه العالم في ظل جائحة كورونا ايضا بتلك الفترة.

فلم يكن الشعر بالنسبة لـ(نيرودا وعبد الرزاق الربيعي) ((مجرد تعبير عن العواطف والمسائل الشخصية، بل نداء عميق يتعالى في الانسان))[٣٩]. وبذلك تكون تلك اللقطات صورة للمشهد المأساوي.

صوت الشاعر مشحون بالحرقة واللوعة والخوف، وهو يرى (الجراد) منتشراً في بلاده، ذلك الذي سيحيل كل شبر في ارضه الى خراب ودمار اذ يقول في قصيدة جراد:

قلنا: مضى الجراد
وضمدت جراحها البلاد
وانتحر الليل
واندحر السواد
فصفق النخيل
ابعد ذاك
للجناة
والطغاة
تسلم القيادة؟
كي يسوسها الشذاذ
واللصوص والاوغاد ... [٤٠] .

يعتبر الجراد من اخطر الآفات التي تهلك الزرع.

بذلك كان للجراد في الصورة الشعرية نصيب اذ شبه الشاعر السلطة الفاسدة بـ(الجراد) لكثرة انتشاره . فالشاعر يتحدث عن المه الدفين، وهو يرى العراق يعاني كل يوم، حتى اصبح مطمع (للجراد) رمزا لتلك السلطة التي تنهش به من كل مكان. عمد الى استعمال الافعال الماضية مثل (مضى، ضمد، انتحر ، اندحر..) التي تدل على شيء انقضى وانتهى وعلى امل في التغيير والتجديد، كل شيء مبتهج حتى النخيل (فصفق النخيل) مستخدما اسلوب التشخيص فأضاف صفة من صفات الانسان الى النخيل.

ثم يتساءل مستغربا (ابعد ذاك، تسلم القيادة؟..) (للجراد) المعروف عنه انه يقوم بالقضاء على المحاصيل الزراعية التي يمر عليها مما يؤدي الى القضاء عليها وعلى الماشية ايضا وبالتالي يؤدي الى المجاعة في المجتمعات، فضلا عما يسببه من دمار وتخريب نفسي واجتماعي واقتصادي، هذه العاصفة كنا نعتقد انها مضت ولكن (القيادة تسلم للجناة وللطغاة وللصوص والاوغاد) فيبقى الجراد ينتشر ....

ومن هنا ربط الشاعر بين تلك الطبيعة والواقع الاجتماعي بقالب شعري مصاغ بدقة متناهية، اذ عبر الشاعر عبر تلك الطبيعة عن مأساة العراق ايام ثورة تشرين تلك الثورة التي اندلعت في (واحد تشرين الاول ٢٠١٩م) في بغداد وبقية محافظات جنوب العراق احتجاجا على السلطة وتردي الاوضاع الاقتصادية وانتشار الفساد...

الخاتمة:

تبين لنا في هذه الدراسة ما يأتي...

-يعد الرمز من المصطلحات القديمة المهمة الذي تطور بتطور الحياة وكان له نصيب كبير في الدراسات الادبية وخاصة في الشعر العربي الحديث، واصبح توظيفه امراً مهما. لما فيه من معاني ودلالات مضمرة.

-الشعراء ومنهم شاعرنا الربيعي لجا الى الطبيعة كـ(رمز) وقناعاً للتخفي وراء تلك الرموز الطبيعية.

-كان للتأثير النفسي والسياسي والاجتماعي اثراً واضح المعالم في لجوء الشاعر الى الرمز ليصبح وسيلة مهمة عن طريقها يفصح عن مكنوناته الداخلية النفسية. فالرمز هو خير وسيلة يهرب اليها الشاعر للتعبير بحرية.

-تزخر نصوص الربيعي بالرموز الطبيعية كونه شاعر ينتمي الى بيئة ريفية محبة للطبيعة، لذا كان لهذه البيئة اثر واضح في نصوصه الشعرية، خاصتاً كونه شاعر كثير الترحال والتنقل.

-حاول الربيعي من خلال رموز الطبيعة أن يبين هموم وطنه الجريح (العراق) الذي نزف كثيرا نتيجة الحروب والحصار، فصاغها بقالب شعري فني جميل اقرب ما تكون للوحة فنية عبرت عن الكثير مثل قصيدة (الجراد) وقصيدة (غراب ما).

-اتخذ الربيعي من الطيور رمزاً للتعبير عن حزنه الدفين لفقد اعز الناس اليه (زوجته الراحلة عزة)

قائمة المصادر والمراجع

(١)لسان العرب، ابن منظور، تح: امين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان المجلد الخامس، ط١٩٩٩:٣م (باب رمز): ٣٥٦.

(٢)معجم المصطلحات الادبية، ابراهيم فتحي، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، تونس، ١٩٨٦م: ١٧.

(٣)ينظر: دروس في السيميائيات، حنون مبارك، دار توبقال للنشر، المغرب، ط١، ١٩٨٧م: ٨٢-٨٣.

(٤)ينظر: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، محمد احمد فترح، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٨٤م: ٣٥-٣٦.

(٥)ينظر: نظريات في الرمز، تزفيتان تود وروف، تر: محمد الزكراوي، المنظمة العربية للترجمة والتوزيع، بيروت ، لبنان، ط١، ٢٠٢١: ٤٥٨.

(٦)ينظر: التطوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، عدنان قاسم حسين، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م:١٦٧.

(٧)ينظر: الرمز والرمزية: ٣٤.

(٨)التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، عدنان قاسم حسين، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م: ١٦٧.

(٩)الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين اسماعيل، دار الفكر العربي، مصر، ط٣، ١٩٦٦م : ٢١٧.

(١٠)الاعمال الشعرية ، عبد الرزاق الربيعي، دار سطور، بغداد، ط١، ٢٠٢١م، الجزء الاول :١١-١٢-١٣-١٤.

(١١)الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية:١٩٨.

(١٢)المصدر نفسه :٣٠٥.

*هيتشكوك : مخرج امريكي بريطاني، المصنف ضمن اعظم المخرجين في القرن الماضي تميزت اعماله بالغموض في اعماق النفس البشرية بمزج مذهل من الاثارة والرعب: ينظر: الفريد هيتشكوك ، محمد صلاح ، ٢٧-١- ٢٠٢١م.

(١٣)ينظر: عن بناء القصيدة العربية الحديثة: ١١٨.

(١٤)الاعمال الشعرية ، الجزء الاول :٣٦٤.

([١٥])خطاب المرأة في شعر الجواهري، رائدة مهدي العامري، مؤسسة دار الصادق الثقافية، بابل الحلة، ط١، ٢٠٢١م: ٢١٧-٢١٨.

([١٦])خطاب المرأة في شعر الجواهري:٢٢٣.

([١٧])الاعمال الشعري، ج١: ٣٦٥.

([١٨])ينظر : ما ورد في القران الكريم من الطيور والحيوان ،الحسيني شعبان المهدي ،دار ابن حزم ، بيروت ،لبنان، ط١، ٢٠٠٣م: ١٤.

([١٩])مفهوم الشعر في ضوء نظريات النقد العربي ،عبد الرؤوف ابو السعد، دار المعارف، القاهرة ، ط١: ١٥.

([٢٠])مفهوم الشعر في ضوء نظريات النقد العربي: ١٦.

([٢١])النقد الثقافي، قراءة في الانساق الثقافية العربية ، عبد الله الغذامي ، الدار البيضاء ، بيروت ، لبنان ، ط٣، ٢٠٠٥م: ٧٨.

([٢٢])الاعمال الشعرية ، الجزء الثالث :١٩٠.

([٢٣])الاعمال الشعرية ، الجزء الاول: ١٠٦.

([٢٤])ينظر: في حداثة النص الشعري دراسات نقدية، علي جعفر العلاق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٠م : ٥٥.

([٢٥])كتاب نظرية الادب، رينيه ويليك واوستن وارين ، تر: عادل سلامة، دار المريخ للنشر ، الرياض، السعودية، ١٩٩٢م:١١٩.

([٢٦])الاعمال الشعرية ،الجزء الاول: ١١٠.

([٢٧])عالم الطيور ، سارة رابان ، دار زهرة للنشر والتوزيع ، الجزائر: ٩.

([٢٨])الانساب ،ابي منذر سلمة ابن سالم العوتبي الصحاري ،تح: محمد احسان النص ،ج١، ط٤، ٢٠٠٦م:٣٦.

([٢٩])الاعمال الشعرية ، الجزء الاول :١٥٨.

([٣٠])الحياة والموت ، محمد الشعراوي، مكتبة الشعراوي الاسلامية ،ط١ ،القاهرة،١٩٩٠م: ٦٧.

([٣١])ينظر: الشعر الجزائري الحديث: اتجاهاته وخصائصه الفنية، محمد ناصر، دار الغرب الاسلامي، ط٢، ١٩٧٥م: ٥٥٠.

([٣٢])الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري، عباس مصطفى الصالحي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٩٨١م: ١٤٨.

([٣٣])الاعمال الشعرية ،الجزء الثالث :٢٠١.

([٣٤])ينظر: الشعر الجزائري الحديث، : ٥٦٥.

(٣٥)نقد ثقافي النقد ام نقد ادبي، عبد الله الغذامي وعبد النبي صطيف ، دار الفكر ، دمشق، ٢٠٠٤م: ٣٢.

(٣٦)الاعمال الشعرية الجزء الثالث : ٨٦.

(٣٧)نوازل الزكاة المتعلقة بجائحة كورونا المستجد ، احمد نبيل الحسينان، مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة الكوت: ١٥-١٦.

*بابلو نيرودا: ولد في الثاني عشر من شهر تموز ١٩٠٤ في (بارال) وهي بلدة صغيرة تقع وسط تشيلي، بدأ نيرودا كتابة الشعر في العاشرة من عمره، نشرت اولى محاولات نيرودا الادبية (مقالة في عام ١٩١٧. بدأ بتعلم اللغة الفرنسية في سانتياغو، وبعدها حاز على شهرة عالمية ككاتب عام ١٩٢٤م. اثر نشره= لـ((عشرون قصيدة حب واغنية يائسة))التي تعتبر من اكثر اعماله مقروئية. وفي سن الثالثة والعشرين قامت الحكومة التشيلية بتعيينه قنصلا في بورما، وبعدها اعتمد لأكثر منصب دبلوماسي في شرق اسيا وبعض البلدان الاوربية، وفي عام ١٩٣٥م. قام بتحرير مجلة :حصان اخضر من اجل الشعر .توفي بمرض اللوكيميا(سرطان الدم) ١٩٧٣م، وكتب خلال حياته اكثر من ٤٠ مجموعة من الشعر والترجمات والنصوص الدرامية ويعتبر من اشهر شعراء القرن العشرين. ينظر: كتاب التساؤلات ، بابلو نيرودا، تر: سحر احمد ،ازمنة للنشر والتوزيع، عمان ، الاردن ، ط١، ٢٠٠٦م: ١٠-٩-١٣.

(٣٩)كتاب التساؤلات :١٢.

(٤٠)الاعمال الشعرية: الجزء الثالث: ٧٦.